الفصل الرابع

السمات الأساسية
لأدب الأطفال

المحتوى والأسلوب

إن الحديث عن السمات الأساسية لأدب الأطفال يتعلق بأمرين متلازمين:

الأول: يدور حول محتوى هذا الأدب وأهدافه (المضمون).

والثاني: يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف.

ولكن الأمرين متلازمان، والتفريق بينهما اقتضته الضرورة، والسمات عموماً لها ارتباط بمراحل العمر المختلفة التي يمر بها الطفل، حتى تراعى في كل مرحلة الأمور التي يتميز الطفل بها، وحتى يتناسب الأدب مع سنيِّ العمر، والقدرة على الفهم، والتفاعل مع هذا الأدب، ولذا نستعرض أهم مراحل نمو الطفل وفق بعض التقسيمات التي رأيت أنها تتوافق مع الفطرة البشرية[1]، وقبل ذلك نستعرض بعض التقسيمات التي أوردها العلماء والباحثون لنمو الطفل.

نبدأ ذلك بالتقسيم الذي أورده ابن قيم الجوزية[2] حيث ذكر أن أطوار بني آدم من وقت كونه نطفة إلى ما بعد الشباب هي: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم الجنين، ثم المولود، ثم الطفل وهو من الولادة

---

(١) اختلفت التقسيمات وتنوعت، واختلفت مسمياتها، والنظرة إليها، وكل تقسيم من هذه التقسيمات يستند إلى نظرة محددة إلى الإنسان، وقد يتعلق بفلسفة معينة.

(٢) تحفة المودود/ ١٤٥، وانظر أيضاً منهج التربية النبوية للطفل/ ٢١.

إلى البلوغ، ثم الفتية أو الغلمة وهو الطار الشارب وقبل الالتحاء، ثم الشاب.

ويرى بعضهم أن مراحل الطفولة تمر بما يلي:

من يوم الولادة إلى سن سنتين: وهي مرحلة المهد.

من ٢ ـ ٦ سنوات: مرحلة الطفولة المبكرة.

من ٦ ـ ١٢ سنة: مرحلة الطفولة المتأخرة.

من ١٢ ـ ١٥ سنة: مرحلة بداية المراهقة.

من ١٥ ـ ١٨ سنة: مرحلة وسط المراهقة.

من ١٨ ـ ٢٢ سنة: مرحلة المراهقة المتأخرة[١].

وأحياناً يرتبط التقسيم بالنمو الحركي للطفل، فقبل الثانية لا يعرف الطفل أن يتحرك حركة محددة، ومن الثانية للرابعة يستطيع أن ينكت بالقلم (يشخبط)، ومن الرابعة إلى السابعة ترتبط حركته وتفكيره بالعالم الخارجي، ومن السابعة إلى العاشرة تزداد خبراته البيئية، وترتبط حركاته بهذه الخبرات، ومن العاشرة إلى الثانية عشرة يبدأ بتكوين العلاقات، أي يبدأ بالصلات الاجتماعية والعمل الجماعي، ومن الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة يبدأ بالاقتراب من الواقع[٢].

ويعد بعضهم سن السنتين هي السن التي يبدأ فيها بسماع القصة ويبدأ اهتمامه بالأشياء. وتقسم بقية السنوات طبقاً لقدرته على الإدراك مع عالمه الخارجي (٢ ـ ٥) سنوات، و (٥ ـ ٧) سنوات وهكذا[٣].

ولكن بعض التقسيمات تحمل فلسفة الكاتب، أو مذهبه الفكري.

---

(١) التربية الإسلامية للطفل والمراهق: تأليف اللواء محمد جمال الدين محفوظ.
(٢) طفلك وفنه: تأليف فكتور لونفيلد، ترجمة سامي علي الجمال.
(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٧٧ وما بعدها.

فهناك من قسم الطفولة إلى المراحل التالية:

١ ـ مرحلة الواقعية والخيال المحدود (٣ ـ ٥) سنوات.

٢ ـ مرحلة الخيال المنطلق من (٦ ـ ٨) سنوات.

٣ ـ مرحلة البطولة من (٨ ـ ١٢) سنة.

٤ ـ المرحلة المثالية من ١٢ ـ ١٥ سنة[١].

وهناك تقسيم مدرسي، أقرب ما يكون إلى طبيعة الطفل في المدرسة وعلاقته بالتعليم وهو يقسم نمو الطفل إلى ما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل المهد.

٢ ـ مرحلة المهد.

٣ ـ مرحلة الطفولة المبكرة (٣ ـ ٥) سنوات.

٤ ـ مرحلة الطفولة الوسطى أو المتوسطة من (٦ ـ ٨) سنوات.

٥ ـ مرحلة الطفولة المتأخرة من (٩ ـ ١٢) سنة.

٦ ـ مرحلة المراهقة.

٧ ـ مرحلة الرشد[٢].

وهناك من يربط التقسيم بالنمو الإدراكي واللغوي عند الأطفال فيكون التقسيم كما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل الكتابة من (٣ ـ ٦) سنوات.

٢ ـ مرحلة الكتابة المبكرة (٦ ـ ٨) سنوات.

---

(١) في أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي، الفصل الثاني/ ١٧ ـ ٨٥.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ٤٨، وثقافة الطفل العربي: جمال أبو رية/ ١١، وتثقيف الطفل: د/ فاروق عبد الحميد اللقاني/ ٢٤ ـ ٢٦، وأدب الأطفال محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ٧١، وفن الكتابة للأطفال: أحمد نجيب/ ٣٨ ـ ٣٩.

٣ ـ مرحلة الكتابة الوسيطة من (٨ ـ ١٠) سنوات.

٤ ـ مرحلة الكتابة المتقدمة (١٠ ـ ١٢) سنة.

٥ ـ مرحلة الكتابة الناضجة (١٢ ـ ١٥) سنة[١].

ومن هذا نرى عدم اتفاق الباحثين والعلماء على تقسيمات موحدة لمراحل النمو، ولم يتفقوا على بداياتها ونهاياتها. وهذه المراحل تتداخل تداخلاً زمنياً، وتختلف بين الذكور والإناث، وتختلف طبقاً لاختلاف البيئات والشعوب والأفراد، وأكثر هذه التقسيمات مأخوذة من بحوث العلماء الغربيين الذين تختلف بيئاتهم عن بيئتنا، ويختلف أطفالهم عن أطفالنا في كل شيء[٢] ولذلك لا يمكن التسليم بهذه التقسيمات، ولا يمكن الاطمئنان إلى وصف كل مرحلة من مراحلها أو الحديث عن مميزاتها، وأصبح لزاماً على علمائنا إجراء البحوث الجادة في هذا السبيل، فضلاً عن تأسيس علم النفس الإسلامي، الذي يقوم على حقائق ثابتة أشارت إليها نصوص من كتاب الله وسنة رسوله، ويعتمد على ما كتبه علماؤنا في هذا الشأن.

وبعد استعراض هذه التقسيمات أرى أن نحدد المراحل التي يمر بها الطفل على ضوء قدرته على القراءة والكتابة والفهم، وبدون الدخول في التفصيلات والأوصاف لكل مرحلة من هذه المراحل:

١ ـ مرحلة ما قبل الكتابة من ٣ ـ ٦ سنوات (الطفولة المبكرة):

وفي هذه المرحلة يتمكن الطفل من سماع القصص، ويتعامل مع الأشياء المحيطة به في البيئة ويحاول أن يقلد مَنْ حوله في حركاتهم وأعمالهم.

---

(١) المصدر السابق/ ٤٥ ـ ٤٨، وأدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق: عبد الفتاح أبو معال/ ١١ وهو ينقل عن المصدر السابق.

(٢) فن الكتابة للأطفال/ ٣٨.

وفي هذه المرحلة يمكن تقديم نوع من الأدب المسجل، والبرامج المعدة بالصوت والصورة، وفق شروط محددة تتناسب مع هذه المرحلة من حيث اختيار الموضوعات، واستخدام المفردات، وانتقاء الأسلوب الملائم للطفل[1] لتقديم ما يفيده ويمتعه ويناسبه، ولا ننسى أن هذه المرحلة من أخصب المراحل التي يمكن أن يكتسب فيها الطفل كثيراً من العادات والخبرات، التي تتعلق بحياته وارتباطه بأسرته، وتعرفه على البيئة حوله، وتنمية ثروته اللغوية وتعلمه لكثير من الآداب الاجتماعية، والأخلاق الإسلامية فضلاً عن غرس العقيدة، وحب الله سبحانه وحب رسول الله ﷺ في نفسه.

وخيال الطفل في هذه المرحلة محدود، ومجال تفكيره محدود أيضاً، ولذلك يمكن استخدام الأشياء والمحسوسات في تصوير المعاني التي نريدها، ويمكن أن نساعد الطفل لملاحظة بعض المظاهر التي يألفها من الكون والبيئة، مع ربطها بخالق الكون، أو إعطائه صوراً عن فوائدها للإنسان، وحسن التعامل معها[2].

---

(١) لقد عمد الأستاذ محمد موفق سليمة، الذي كتب مئات الكتب للأطفال إلى تسجيل عدد من القصص للأطفال الصغار في هذه السن على أشرطة ضم كل شريط خمس قصص، وضم كل ستة أشرطة في علبة أنيقة تحفظهم مع تسجيل أسماء القصص على غلاف العلبة. وقبلها نشر عدداً من أشرطة الفيديو، وأشرطة تعليم الصلاة.

(٢) لا شك أن الطفل في هذه المرحلة يتعلق بالرائي (التلفاز) ويتابع كثيراً من البرامج والأفلام الخاصة بالأطفال، ولكن ما يقدم للطفل في العالم العربي مأخوذ من البيئات الغربية في صوره وأفكاره وخيالاته، وكثير منه يخضع لمقتضيات التجارة أيضاً، وفوائد هذه البرامج قليلة، وأضرارها كثيرة، والمؤسف أن عالمنا العربي لا يتنبه إلى المشكلة إلا بعد أن يستشري ضررها، وفي الوقت الذي بدأت صيحات العلماء في الغرب تحذر من أضرار (التلفاز) الرائي على الأطفال، بدأت محطات البث عندنا بزيادة هذه البرامج بدون ضوابط، انظر إلى كتاب (بصمات على ولدي) تأليف طيبة اليحيى ط ٣ الكويت مكتبة المنار الإسلامية، وفي هذا الكتاب شهادات كثيرة من علماء =

٢ ـ المرحلة الثانية وهي مرحلة الكتابة والقراءة المبكرة (المدرسة الابتدائية):

وتكون غالباً ما بين (٦ ـ ٨) سنوات وقد تبدأ من الخامسة أحياناً، وقد تمتد إلى التاسعة أيضاً. وفي هذه المرحلة تزداد خبرات الطفل ولا سيما بالأشياء الخاصة ببيئته (الأسرة ـ والحي) ويبدأ بالخروج عن نطاق الأسرة، والتعرف على الأشياء الجديدة الخارجة عن نطاق البيت والأبوين، وتزداد رغبته في التعامل والتعرف على الظواهر الواقعية والاستفسار عنها، واستخدام بعض الوسائل، ومنها التعرف على الكتابة والقراءة كأسلوب يصله بعالم آخر يطمح للوصول إليه، والطفل في هذه المرحلة شغوف باكتساب الخبرات الجديدة، وسريع التأثر بما يراه ويسمعه، ويهتم بالتعرف على كثير من الأمور العملية، ولذلك نقدم للطفل هنا ألواناً من الأدب، من القصة والشعر، والعرض الأدبي المبسط، لتزويده بخبرات جديدة، ولتنمية شخصيته في الاتجاه الصحيح.

ونهتم هنا بتكوين العادات النافعة، وغرس القيم الثابتة عن طريق ربطها بالأحداث، وتصويرها بأسلوب مناسب يحس من خلاله بأنها القيم والعادات التي تضيف إليه بُعداً جديداً مُحبباً، وتنقله إلى مرحلة أفضل تمنحه التقدير والنجاح والاحترام.

ونفتح أمام الطفل مجالات التفكير في مظاهر الحياة والكون حوله،

= التربية وغيرهم على أضرار مثل هذه البرامج وتأثيرها السلبي على الأطفال. ونحن بحاجة إلى دراسات جادة وموضوعية في هذا المجال. وأشير أيضاً إلى الندوة التي أقامها مكتب التربية العربي لدول الخليج في الفترة من ٦ ـ ٩ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٩ أيار مايو إلى ١ حزيران يونيو ١٩٨٢ م تحت عنوان «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين» وقدم فيها عدد جيد من البحوث في هذا الصدد ومنها: «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال» (وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين) مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وننقله تدريجياً للتمعن في كثير من الأمور للربط بين الأسباب والمسببات، ونغرس في نفسه العادات والأخلاق العملية الفاضلة، فضلاً عن تنمية معارفه المختلفة، ولا سيما في أمور عملية يحتاجها في حياته أو يكون على صلة بها في مجتمعه، ونجيب على كثير من تساؤلاته التي تثور لديه، ونحبِّب إليه القراءة والكتابة، ونربط بين شتى النشاطات ومعاني الجمال التي تجعل لهذه النشاطات وجهاً جميلاً محبباً يثير الإعجاب والتقدير، ونحرص على أن تكون هذه الصور جميعاً في مجالات الاعتقاد والتربية والتعليم، منسجمة ونابعة من ديننا الإسلامي، وبطريقة بعيدة عن الأمر والنهي، أو المنع والصد، أو الإكراه والإجبار، بل نقدمها كألوان من الحياة، وصور ترتبط بنا وبمصيرنا ونجاحنا، وتسهم في تحقيق مستقبلنا، ورسم صورتنا عند الآخرين.

ويمكن للطفل في هذه المرحلة أن تكون استجابته أكثر لما يشعر بأنه يزيد في بناء شخصيته، وتكوين عاداته، وشحذ فكره، ومنحه المكانة والتقدير والاهتمام ممن حوله، وتجعله يشعر بأنه يكتشف شيئاً من عالم الكبار.

والموضوعات كثيرة ومتنوعة، ولكنها تحتاج إلى صياغة الأديب الذي يتعرف على مفردات الطفل في هذه السن، مفرداته في مجال التفكير، والاهتمام، ومفرداته في مجال القراءة والكتابة، ومفرداته في مجال النشاطات المختلفة.

٣ ـ المرحلة الثالثة: مرحلة التمكن من القراءة والكتابة (المدرسة الابتدائية وبداية المتوسطة):

وهي ما بين ٨ ـ ١٢ سنة، وفي هذه المرحلة تبدأ شخصية الطفل بالظهور والتميز ويميل إلى الاعتداد بالنفس والقوة، والتفرد بالمواقف التي تميزه عن الآخرين واستخدام خبراته السابقة في إبراز قدراته، وشخصيته.

ولذلك فإن استغلال هذه الميول لتحسين صورة الشخصية وإبراز

مواهبها أمر جيد، إذا كان هذا الاستغلال ناجحاً وموجهاً. فإذا قدمنا للطفل ـ مثلاً ـ عروضاً (في القصة، أو الشعر، أو الحواريات) عن تاريخنا الإسلامي وسير أجدادنا مع التركيز على الجوانب التي نرى أنها أكثر تأثيراً في نفس الطفل في هذه المرحلة، وأكثر ارتباطاً بواقعه وتفكيره ومطامحه إذا قدمنا له ذلك بصور مناسبة يكون لها تأثير كبير وبليغ في حياته وسلوكه وتفكيره. ولذا فمن المناسب جداً أن نبدأ في هذه المرحلة بالكتابة للطفل عن سيرة الرسول ﷺ ضمن اختيارات مناسبة، وعرض يتلاءم مع هذه المرحلة من حيث المفردات والأسلوب والطريقة[1] وكذلك عن قصص الأنبياء، والصحابة، وغيرهم.

---

(١) أشير هنا إلى ما كتبه أستاذي وشيخي الفاضل أبو الحسن الندوي حفظه الله في هذا الباب، حيث كتب تحت عنوان «قصص النبيين» للأطفال عدداً من سير الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله بأسلوب سهل ممتع، وكذلك عرض سيرة الرسول باسم «سيرة خاتم النبيين» مراعياً فيها ما يناسب الطفل في هذه المرحلة. (قصص النبيين/ ١ ـ ٤) و (سيرة خاتم النبيين) مؤسسة الرسالة.
وانظر بحث (الاستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي كرائد الأدب الإسلامي للأطفال) للشيخ سعيد الأعظمي وهو بحث مقدم لندوة أدب الطفل المسلم الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي في تركيا في ١٤١٠ هـ وكتب سماحة الشيخ أبي الحسن أيضاً عن أثر السيرة في تربية الطفل في مقدمة كتابه «الطريق إلى المدينة» ط / ٥ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ما يلي:
«أتحدث اليوم عن كتاب كانت مِنَّتَهُ ـ ولا تزال ـ عظيمة عليّ، وإني دائم الترحم على صاحبه العظيم الذي أتحفني عن طريق هذا الكتاب بمنحة هي أغلى الأشياء عندي بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان وهو كتاب «سيرة رحمة للعالمين» لمؤلفه القاضي (محمد سليمان المنصور فوري) رحمة الله عليه».
ثم يمضي وهو يشرح أثر هذا الكتاب في نفسه وهو طفل في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره.
«بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة رفيقة، وبدأ قلبي يهتز له ويطرب: كما اهتز تحت الغصن البارد الرطب.

ولكن ما نقدمه للطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى تخير دقيق في عرض الجوانب التي تهم الطفل، وتؤثر في بناء شخصيته، فيتفاعل بها، ويتأثر وينسجم، لكي تنمو لديه الاتجاهات الصحيحة، فيزداد إيمانه قوة

= وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التي ألفت في حياة الأبطال والفاتحين الكبار، وبين هزة الكتب التي ألفت في سيرة الرسول الأعظم ﷺ، فالأولى هزة تغير على القلب وتزعجه، والثانية هزة تنبعث من النفس وتريحها.

وبدأت تتجاوب نفسي لهذا الكتاب وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذة تختلف عن جميع اللذات التي عرفتها في صغري ـ ولم أزل مرهف الحس قوي الشعور ـ فلا هي لذة الطعام الشهي في الجوع، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب في حين الشوق إليها، ولا هي لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية.... إنها لذة لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها... إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح؟ ولا يشعرون باللذة الروحية؟

بلى والله إن الأطفال أشف روحاً وأصح شعوراً وإن عجزوا عن التعبير» (ص/ ١٢ ـ ١٤ من الكتاب).

ويمضي ليصف أثر مثل هذا الكتاب في نفس الطفل عبر تجربته الشخصية فيقول:

«إن الحسنة التي لا أنساها لهذا الكتاب وصاحبه المخلص، أنه أثار في قلبي كامن الحب الذي لا لذة في الحياة بغيره، ولا قيمة للحياة بغيره، وقد صدق الشاعر الفارسي حيث قال: (قاتل الله ذلك اليوم الذي مضى ولم أذق فيه لذة الحب... وسحقاً للحياة إذا قضيتها كلها في تحكيم للعقل والخضوع للمنطق) بل إن الحب هو محصول الحياة وليس اللباب، وقد أجاد القائل الذي يقول: (نظرت في هذا العالم فإذا هو ببدر واسع، ونظرت فيه فإذا الحب هو الحب الوحيد، وكل ما عداه فهو تبن وحشيش وهشيم وحصيد...).

ويقول: «إن مصيبة هذه الأمة البائسة أنها قطعت صلتها عن القلب، وحُرمت لذة الحب» ص ١٩.

وهذا يدل على أن قدرة الأديب وحسن توفيقه في الاختيار والعرض لهما أثر كبير في ما يبدع، وأثر كبير على الأطفال أيضاً، وهذا يشير إلى أثر السيرة العظيم في تربية الأطفال، وأهمية عرضها بالصور والأساليب المناسبة لكل مرحلة من مراحل العمر.

ووضوحاً، مع ربطه بالسلوك العملي، والعلاقات المتنامية للطفل، ويزداد وعيه وينشط تفكيره، وتكبر اهتماماته. ولعله من المهم للأدباء أن يطّلعوا على ما كتبه أجدادنا عن الأطفال (الأولاد) في هذه المرحلة، ولا سيما ما كتبه الغزالي والقابسي وابن سحنون وغيرهم من علماء المسلمين.

٤ ـ المرحلة الرابعة وهي ما بين ١٢ ـ ١٨ سنة (مرحلة المراهقة):

وفي هذه المرحلة يمتلك الطفل القدرة على فهم اللغة واستخدامها بصورة أفضل، ويصبح أكثر قدرة على القراءة وتبدأ عواطفه في الظهور، وينشط خياله، ويزداد تعلقه بالمثل.

وشخصية الطفل هنا تنزع للبروز والتعلق أو الالتحاق بعالم الكبار؛ ولذلك نساعده من خلال ما نقدم له من ألوان الأدب لتحقيق صورة مناسبة للاقتداء بها والسعي للوصول إليها.

وهي من أدق المراحل وأهمها، بل من أخطرها، وتحتاج من المربين والأدباء إلى فهمها، والتعامل معها بدقة ووعي، لكي يساعدوا الطفل والناشيء على اجتيازها والاستفادة منها، والظفر بزاد كبير فيها، لأن ما يحوز على اهتمام الطفل وإعجابه في هذه المرحلة ينال منه قدراً كبيراً من التعلق والانشغال به، ولذلك لا بد من تقديم ما يناسب عواطف الطفل الناشيء ومشاعره المرهفة وتفكيره المتحرك الذي يبحث عن صورة يطمئن إليها ويسعى لتحقيقها. ويكوِّن للناشيء في هذه المرحلة خيالات ناشطة قد تختلط بالأوهام وقد تتعلق بالمثل، وقد تجنح إلى الانطواء، وقد تُؤْثِرُ المخاطرة أو المغامرة أو حب البروز، أو الرغبة في السيطرة، أو الميل إلى العنف.

وكثيراً ما تدفع الناشيء للجد والدأب الكبيرين وراء آمال يرسمها ويتمناها فإذا به يمضي الساعات الطوال في الدراسة، أو النشاطات الشبابية المختلفة أو الرحلات أو غير ذلك.

ومن المناسب تقديم ألوان من الأدب تحوي شتّى الأطعمة والأمزجة، منها ما يتعلق بأفكاره، ومنها ما يتعلق بخياله، ومنها ما يتعلق بعواطفه، ومنها ما يتعلق ببيئته، ومنها ما يتعلق بعلاقاته مع أصدقائه وأسرته، ومنها ما يتعلق بمستقبله، ومنها ما يتعلق بطرق النجاح للشاب والطفل.

ولا بد من استخدام الأسلوب الذي يثير لديه التفكير السليم، ويدغدغ عواطفه برفق ويهذبها. وفي تاريخنا كثير من الموضوعات والصور التي تحتاج إلى من يعيد صياغتها وإخراجها ووضعها بين يدي الناشئة[1] من خلال عرض أدبي يتلاءم مع هذه المرحلة، ويحظى بشغف الطفل والناشيء، بل يشده للمطالعة ودوام القراءة والاطلاع.

وخير للطفل ـ في هذه المرحلة ـ أن يُشغَل بالأفكار التي تجعله يشعر بإسهامه في تقديم الخير لغيره، والبناء في أسرته ومجتمعه، وإسعاد الآخرين وتقديم الواجب، وتحمل المسؤولية، لأن ذلك يرضي عواطفه ويمنع غرقه في المشاعر الخاصة، أو الانشغال بالعواطف الجنسية.

ولا يمكن تجاهل عواطفه نحو المرأة والجنس[2]، وبدلاً من تركه

---

(١) أشير هنا إلى المجموعة الرائعة التي كتبها أستاذي الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ للناشئة تحت عنوان: (صور من حياة الصحابة) والمجموعة الأخرى: (صور من حياة التابعين) كنماذج للأدب الذي يقدم في هذه المرحلة. وانظر: التربية الإسلامية للطفل والمراهق: اللواء محمد جمال الدين محفوظ، ولا سيما البحث الخاص بالمشكلات الشائعة بين طلاب المرحلة الثانوية. وانظر إلى ما كتبه الشيخ أبو الحسن الندوي عن أثر السيرة في نفسه وهو صغير في هوامش الصفحات السابقة.

(٢) أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٤٩، واهانت. يرى أن أدب الأطفال يمكن أن يؤدي دوراً في التربية العاطفية بما فيها التربية الجنسية ما دام الأدب يتسلل إلى الذهن والعاطفة «بشكل مؤدب».. ولكن الكاتب لا يرى بأساً من وجود الصور العارية في كتب الأطفال ما دامت جميلة. وينتقد البيت والمدرسة (في ربط الجنس بالتحريم والغموض والعقاب والذنب) ولا ندري كيف يرى الكاتب =

للخيالات الوهمية، أو الأفكار المريضة، أو الإصغاء للدعوات الهدامة التي تجره للشذوذ، فإن الأديب والمربي يستطيعان تربية عواطف الشاب أو الناشيء في هذه المرحلة، وتصعيد مشاعره للسمو عن الانحرافات أو التصرفات المشينة، وتهذيب هذه المشاعر، وترشيد خطوات الناشيء لكي يتصرف ويفكر بحكمة وواقعية ومسؤولية.

= أن تكون تربية الطفل جنسياً؟ وهل نلغي الحرام والعقاب والذنب من أجل التربية التي يدعو إليها الكاتب؟ ولعل الكاتب حين دعا إلى هذا لم يكن قد شهد بعد سقوط الدول الشيوعية التي أنكرت الأديان، وحولت الإنسان إلى مجرد آلة، وبعد سبعين سنة تحطمت هذه الأنظمة تحت مطارق الفطرة الإنسانية. وخرج الإنسان يبحث عن عقيدة يتمسك بها، وعن منهج يحقق له السعادة والطمأنينة. وإذا كانت اليهودية والنصرانية ممثلة بالقوى العالمية المسيطرة تحاولان أن تسدا الفراغ، لكن هذه الشعوب سوف تصطدم بالواقع المأساوي لأزمة الحضارة الغربية بعد حين، ولولا ضعف المسلمين وغياب الإسلام لوجد الإنسان ضالته المنشودة في هذا الدين، وهذا تفسير الهجمة الشرسة من الغرب وأمريكا ومن تابعهم على الإسلام والمسلمين، واصطناع الأزمات والحروب للحيلولة دون عودة المسلمين إلى إسلامهم.

السمات الأساسية لمضمون أدب الطفل

بعد استعراض مراحل نمو الطفل نتوقف عند المميزات الخاصة بأدب الأطفال وكما قلنا في بداية هذا الفصل فإن هذه السمات تتعلق بأمرين متلازمين:

الأول: يدور حول محتوى هذا الأدب ومضمونه وأهدافه (المضمون).

والثاني: يدور حول الأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف الخاصة بهذا الأدب.

أما الأمر الأول فينبثق من صفة هذا الأدب ومسماه (أدب الطفل).

وأرى من المناسب هنا أن نعود بكلمة أدب إلى معناها الذي يتفق مع عقيدتنا وتراثنا وقيمنا.

ولا يعني هذا إغفال المعنى الذي أخذته الكلمة عبر العصور، أو تجاهل المصطلح الذي أصبح له عدد من المعاني في الآداب الغربية وغيرها، وإنما الذي دعانا إلى هذا طبيعة أدب الأطفال، وارتباطه بالتربية والتوجيه في كل الآداب الأجنبية[1].

---

(١) أجريت بعض الإحصاءات المقارنة لعدد من الكلمات التي تدل على التوجيه والتربية في كتب الأطفال الغربية وكتب الأطفال العربية، وكان الفرق كبيراً، حيث إن كتب الأطفال في أوربا ذات قصد توجيهي، بينما تخلو كتب الأطفال =

وأصبح لزاماً على الأدب الإسلامي الموجه للطفل أن يكون أكثر التزاماً بالتوجيه والتربية، وهذا ما دفعني للبحث عن جذور كلمة أدب في اللغة العربية جاء في (مجمل اللغة) عن كلمة أدب ما يلي:

«أدب: الإِدْبُ، الأَمْرُ العَجَبُ، والأَدْبُ: دعاءُ الناس إلى طعامِك.

والمأدَبَة، والمأْدُبَة بمعنى، والآدِب: الداعي إليها.

قال طرفة: لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ.

والمآدِب: جمع مأدَبة... واشتقاق الأدب من ذلك كأنه أمرٌ قد أُجمع عليه، وعلى استحسانه»[1].

وجاء في قاموس (الصحاح) ما يلي:

«الأَدَبُ: أدبُ النفس والدَّرْس، تقول منه: أَدُبَ الرجلُ بالضم فهو أديب، وأدَّبْتُه فتأدَّب، وابن فلان قد استأْدَبَ في معنى تأدَّب، والأَدْبُ: العَجَبُ.

والأَدَبُ أيضاً: مصدر أَدَبَ القومَ يأدِبُهم، بالكسر، إذا دعاهم إلى طعامه، والآدِبُ: الداعي»[2].

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري عن هذه المادة ما يلي:

«أَدَبَ: هو من آدَبِ الناس، وقد أُدُبَ فلان وأَرُب، وتقول: الأَدَبُ مأْدُبَة ما لأحدٍ فيها مأْرُبة. وأَدَبَهم على الأَمْرِ جمعهم عليه يأدِبُهم. يقال:

= العربية من ذلك إلى حد كبير. (الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال) ص ٢٣.

(١) مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة (١ ـ ٩٠/ ٩١).

(٢) الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ـ دار العلم للملايين ط/ ٢ بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م/ ١ ـ ٨٦.

أيْدِبْ جيرانَك لتشاورهم، قال:

وكيف قتالي معشراً يأدِبونكم على الحق أن لا تأشبوه بباطل

وتقول: أدَبَهم عليه، وندبهم إليه، وإذا انتقر الآدِبُ نقرَهُ الجادِبُ»[1].

وجاء في كتاب (المغرب) ما يلي:

«أدَبَ، الأدَبُ أدَبُ النفس والدرس... ومنه الأدَبُ لأنه يأدِبُ الناسَ إلى المحامد، أي يدعوهم إليها. عن الأزهري، وعن أبي زيد. الأدب: اسمٌ يقع على كل رياضةٍ محمودةٍ يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[2].

وأما (لسان العرب) فلقد أورد كل هذه المعاني، وأكتفي منها بما يتعلق بالموضوع:

«الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدْبِ: الدعاءُ...

الأدب: أدبُ النفس والدرس. والأدَبُ: الظَّرْفُ وحُسْنُ التناول، وأدُبَ، بالضم، فهو أديب من قوم أدباء.

وأدَّبَهُ فتأدَّب علّمه، واستعمله الزجاج في جانب الله عز وجل فقال: وهذا ما أدَّبَ الله تعالى به نبيه ﷺ.

وفي الحديث عن ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأدَبةُ الله في الأرض فتعلَّموا من مأدبته» يعني مَدْعاته... قال أبو عبيدة: وتأويل الحديث أنه شبَّه القرآن بصنيع صنَعَهُ الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر. دار صادر/ ١٣.

(٢) المغرب في ترتيب المعرب: لأبي الفتح ناصر الدين المطرّزي، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد بحلب، ط/ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م/ ٣٢ - ٣٣.

إليه . . .»[1].

وأقتطف أيضاً بعض ما جاء عن مادة (أدب) في (دائرة المعارف الإسلامية): «أدب: لفظ كان يدل في الجاهلية وفي الإسلام على الخلق النبيل الكريم، وما يتركه من أثر في الحياة العامة والخاصة، وهناك قول مأثور جرى مجرى الحديث هو (كاد الأدبُ أن يكون ثلثي الدين).

وللفظ الأدب معنى مجازي ـ علاوة على هذا المعنى العملي ـ نشأ عندما طمح الناس إلى الثقافة، وأخذت حياتهم الاجتماعية تُصقَل يوماً بعد يوم على أسلوب حياة الفرس، وبدأت تزدهر حركة التأليف الأدبي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهو بمعناه المجازي يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن، والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية، وخاصة اللغة والشعر وما يتصل به، وأخبار العرب في الجاهلية (خزانة الأدب جـ ٤ ص ١٢٤) ويترتب على هذا أن الأدب يتناول موضوعات الكتب الخاصة، ككتاب أدب الكتاب لابن قتيبة، والكتب التي تذكر باسم أدب الوزراء وغير ذلك.

وهناك فرق دقيق بين الأدب بفروعه المختلفة والعلم، وهو جماع ما يتصل بالدين من قرآن وحديث وفقه.

ويتضمن لفظ الأدب أحياناً ـ علاوة على المعارف البحتة ـ صفات اجتماعية، منها: المهارة في الرياضة وغيرها من الألعاب.

ومن الطبَعي ألا يكون للأدب محيط يحده، فقد تدخل أحياناً الدقة الفنية، كما تدخل المهارة الصناعية ضمن فنون الأدب.

إن تاريخ كلمة (أدب) لَمِرْآةٌ لتطور الثقافة العربية من أصولها الجاهلية حتى اليوم، وهو يفصح عن هذا التطور إفصاحاً يوازي ما يفصح

---

(١) لسان العرب: ابن منظور الأفريقي ـ دار صادر/ ١ ـ ٢٠٦، ٢٠٧.

عنه تاريخ كَلمتي (علم) و (دين) بل يفوقه إفصاحاً، والكلمة في أقدم معانيها قد تعد مرادفة لكلمة (سُنَّة) التي تدل على (العرف والنمط الموروث للسلوك والعادة) قُبساً من الأجداد وغيرهم من الأشخاص الذين اتُّخِذُوا أسوة. وأكد تطور هذا المعنى الأولي من جهة مضمون الكلمة الأخلاقي والعملي، فقد أصبح يدل على (الصفة الكريمة للنفس، وطيب النشأة والتحضر والظرف) وإذا سُلّم بهذا، فإن الأدب يرادف تهذُّب أخلاق البدوي وعاداته بالإسلام. وبالاحتكاك بالثقافات الدخيلة في القرنين الأولين للهجرة، ومن ثم غدا الأدب في أوائل العصر العباسي، يرادف بهذا المعنى الكلمة اللاتينية (Urbanitas) أي التحضر والدماثة والتهذب عند أهل الحضر، مما يميزهم عن خشونة البدو. (تستعمل المعاجم في هذا المقام الظرف في شرح الأدب) واحتفظت الكلمة بهذا المعنى الأخلاقي الاجتماعي طوال عهد الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، ومن ثم قيل: أدب الطعام، وأدب الشراب وأدب اللباس[1]. على أن الأدب منذ القرن الأول للهجرة قد اكتسب ـ علاوة على هذا المعنى الأخلاقي الاجتماعي ـ معنى عقلياً ارتبط أول الأمر بالمعنى الأول، ثم أخذ يزداد اختلافاً، فقد أصبح يتضمن، مقدار المعرفة التي تجعل المرء دمثاً و (متحضراً) أي مثقفاً تثقيفاً دنيوياً... يعتمد بخاصة على الشعر والفصاحة والتراث التاريخي والقبلي للعرب القدماء، وعلى ما تتصل به أيضاً من علوم هي البلاغة والنحو وفقه اللغة والعروض.. ومن ثم فإن هذا التصور الإنساني للأدب كان في أول أمره قومياً صرفاً، ذلك أن الأديب الكامل في العصر الأموي كان هو الشخص الذي يبرع في معرفة الشعراء القدامى وأيام العرب وفي الثقافة الشعرية والتاريخية والعربية وذخيرة آثار العرب.

بيد أن الاحتكاك بالثقافات الأجنبية وسَّع مضمون الأدب أو الآداب

---

(١) انظر: رسالة أدب النديم: الكُشاجم وهناك أسماء لرسائل مثل أدب البحث، وأدب الدرس، وأدب العالم والمتعلم وأدب التدريس.

العربية الرفيعة، فأصبح موضوعه هو الآداب الرفيعة بلا تخصيص، وهنالك شمل معرفة تلك الأقسام من الأدب غير العربي.

ومع ذلك فإن النظرة إلى الأدب انتهت بأن فقد الأدب المدلول الرفيع الواسع الذي كان له في عصر الخلافة الذهبي، وأصبح مقصوراً على نطاق أضيق، وأدخل في البلاغة ـ أي نطاق الآداب، وهي الشعر والنثر الفني وكتابة النوادر ـ وهذا هو نوع الأدب الذي نبغ فيه الحريري بما اتسم به من براعة لفظية وعناية بالشكل، وتدقيق في اللفظ، وانصرف الأدب من الدراسات الرفيعة إلى أدب الصنعة المفتعل، وظل هذا شأنه خلال عهد انحلال الآداب العربية والروح العربي حتى قيام النهضة الحديثة.

وفي العصر الحديث أصبح الأدب ـ بل الآداب ـ ترادف كلمة الأدب في أخص معانيها، مثال ذلك (تاريخ الآداب العربية)، والمقصود بها الآداب العربية، وكلية الآداب هي الكلية التي تدرِّس فنون الأدب في الجامعات التي أُنشئت على النمط الأوربي[1].

نخلص من هذه الجولة في القواميس والمصادر عن كلمة أدب أنها بدأت وما زالت مرتبطة بالمعنى الأخلاقي التربوي (أدب النفس والدرس) وكذلك بمعنى الجمع على الشيء، وهنا يكون الجمع على الفضائل «أدبهم على الأمر جمعهم عليه» «الأدب.. يدعو الناس إلى المحامد» «ويقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل» «والقرآن مأدبة الله في الأرض» وهو «أدب النفس، يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح» وهو «الظّرف وحسن التناول» وهو «الخلق النبيل الكريم» وهو «يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن، والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية وخاصة اللغة والشعر

(١) دائرة المعارف الإسلامية: لعدد من المستشرقين، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس ـ كتاب الشعب ٢/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠.

وما يتصل به..» ويتضمن أيضاً «صفات اجتماعية..» و «الصفة الكريمة للنفس، وطيب النشأة والتحضر والظرف»، و «تهذيب الأخلاق» «والتحضر والدماثة والتهذب».

ثم أصبح يدل على «مقدار المعرفة التي تجعل المرء متحضراً»، ثم «البراعة في معرفة الشعراء القدامى، وأيام العرب، وفي الثقافة الشعرية والتاريخية والعربية وذخيرة آثار العرب»، ثم أصبح يدل على الفنون الخاصة «بالشعر والنثر الفني».

فلماذا نَقْطَعُ هذه الوشائج الأخلاقية والتربوية والاجتماعية، بل والدينية أيضاً، لأن الأخلاق وليدة الدين، لماذا نقطع هذه الوشائج بين الأدب وهذه القيم؟ ولماذا نقبل المفاهيم الغربية للأدب التي تبعده عن كل قيمة يؤمن بها الإنسان، بل تجنح بالمصطلح ليكون منسلخاً من أي ارتباط، وليكون بذاته صنماً يُعبد وله كل الحرية فيما يقول، ويرسم، ويصور.. ولأتباعه الحرية فيما يفعلون أيضاً وما يقولون وما يعتقدون؟!

ولكي لا نبعد كثيراً، فإننا نؤكد ارتباط الأدب بالعقيدة، وصلته بالأخلاق، وانبثاقه عن القيم التي تؤمن بها الأمة.

إن الأدب بمفهومه الإسلامي تعبير فني عن تجربة الأديب في الحياة من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان وللخالق عز وجل[1].

---

(١) يعمد كثير من النقاد ودارسي الأدب لإطلاق مفهوم التصور مثال ذلك أن يقولوا: «ولا بد أن يكون هذا التوجه مشتملاً على رؤية فنية للوجود في أشيائه المختلفة..» أو أن يطلقوا تعريفاً بعيداً عن الاعتقاد «التركيب الفني لنماذج ورموز مطبوعة» أم «الكلام الجيد الذي يحدث في النفس متعة فنية، سواء أكان شعراً أم نثراً، وتعبيراً شفوياً بالكلام أو تحريرياً بالكتابة..».

ويعجب المرء إذ يرى المسلم يقر بأن دينه هو آخر الأديان، وهو دين البشرية. وهو منهج متكامل «صبغة الله» ومع ذلك ينكر أن يكون له أدب إسلامي، واقتصاد إسلامي.. وكأنه يريد أن يحصر الإسلام في شعائر تعبدية. أو يعلي=

ومن هذا فإن أدب الطفل المسلم فرع من هذا التصور الشامل للأدب[1] ولكنه يختلف عن أدب الكبار «في الأمور التي لا مفر من أن تختلف فيها العقليتان والإدراكان»[2]، وهو الأدب الذي يصور أفكاراً وإحساسات ومدارك تتفق مع مدارك الأطفال وتتخذ شكلاً من أشكال الإبداع الأدبي، القصة والشعر والمقالة، والحوارية وغير ذلك[3].

وصفة هذا الأدب (الإسلامي) تعني أن يكون الأديب واعياً لخصائص ومميزات مجتمعه الإسلامي، وعارفاً بأصول هذا الدين وحدوده، ومدركاً للتصور الإسلامي للطفولة، وللعلاقات الإنسانية، ومؤمناً بمسؤوليته في ممارسة دواعي الإبداع أمام الله عز وجل أولاً، ثم أمام أمته الإسلامية ورسالته في الحياة، وأمانة الدعوة إلى الله عز وجل.

وليس لأديبٍ مسلم أن يبيح لنفسه الجهل بأصول دينه وأساسياته، وخصائص المجتمع الإسلامي، وحدود شرع الله عز وجل، وأهداف التربية الإسلامية، أياً كانت الحجج والأعذار، فما دام في مجال الريادة للمجتمع، والانخراط في هذا الفن، فعليه أن يتسلح بأدوات فنه، ويتعرف على ركائز عمله، حتى لا يكون مقصراً، أو عاجزاً. وإن لم يفعل ذلك فعليه ألاَّ يتصدى لهذا الأدب، وألا يدَّعي هذه الصفة، وكان عليه وزر أمام الله عز وجل لأنه فرط في الأمانة.

الإسلامية ليست شعاراً، وإنما هي المنهج الذي أصبح عند الأديب حياة يمارسها، وفقهاً ودراية ومعرفة بما يقتضيه إسلامه، يأخذ ذلك من

= روابط العرق واللون واللغة على رابطة الإيمان وفي ذلك تعارض مع أبسط بدهيات هذا الدين. . أما الذين لا يؤمنون بالإسلام أصلاً، ولا بغيره من الأديان فلا غرابة فيما يقولون.

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني ١٣.

(٢) أدب الأطفال: د/ الحديدي ٦٥.

(٣) أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٧٢.

منابعه، ومن أصوله، ولا يتسكع في أسواق التجار ليقلد الذين يؤمنون بهذا التصور، أو ذاك، ويلتقط من هنا وهناك بلا دراية. وكل كلمة تكتب للطفل فيقرؤها، أو يراها في صورة من الصور الإبداعية ستترك أثرها في نفسه، ومردودها في حياته وشخصيته، لأنه «كالرادار» الذي يستشعر كل ما حوله، فيلتقطه ويحوله إلى صورة تناسبه، وإلى فكرة يفهمها، ومن هذا الذي يلتقطه من هنا وهناك في بيته ومدرسته ومجتمعه، في الصورة والكتاب والقدوة ستتشكل عاداته وفكره وأخلاقه، بل ستنشأ عقيدته ويتحدد دينه «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فإذا كان من واجب المسلمين ـ عموماً ـ معرفة دينهم، والتفقه في كل ما له علاقة بحياتهم ومهنهم ونشاطاتهم وأعمالهم، فإن ذلك أكثر وجوباً وضرورة للأديب لأنه رائد وقدوة وموجه.

فضلاً عن ذلك فإن معرفة الأديب لدينه معرفة حقيقية موثقة ـ لا من المستشرقين والعوام ـ بل معرفة واسعة أصيلة، سوف تتيح له القدرة على اختيار الأسلوب المناسب، والطريقة الملائمة لموضوعه، وللمرحلة والسن الذي يكتب من أجله.

أما إذا كانت هذه المعرفة ساذجة بسيطة لا تتعدى معرفة العامة، ولا تخرج عن نطاق الأفكار والمعارف الذهنية بعيداً عن السلوك العملي، والنشاط الإنساني اليومي، والتفقه الحقيقي في ذلك، فإنه سيعجز عن تقديم أدب إسلامي ملائم للأطفال.. يحقق الأهداف المبتغاة لهذا الأدب، ويُخشى أن ينالهم شيء من الفرح مما يمس الذين تصفهم هذه الآية الكريمة: **﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾**[1].

وبالقدر الذي يتمكن فيه الأديب من فهم الإسلام، والتفاعل مع

---

(١) آل عمران الآية: ١٨٨.

نصوص هذا الدين فإنه يملك أسباب النجاح أيضاً في اختيار الأسلوب المناسب، وتجويد الإبداع بصورة مستمرة، وإدراك طرق التأثير الحقيقية في نفس الطفل، لأن مثل هذا الإبداع سيتسم بالوضوح والأصالة والصدق، وصاحبه يمتلك الرؤية الواعية التي لا تدعه يتلجلج أو يتعثر في الطريق، وستسري فيه تلك الروح الإيمانية التي تفيض الحب والرغبة على الطفل. فإذا افتقد الأديب هذه المعرفة وجهل الدين ـ أياً كانت دعواه وادعاؤه ـ فإنه سيكون مُشوَّشاً، بعيداً عن الصدق، لا يدرك سرَّ التأثير إلا إذا انسلخ من الأخلاق، وآثر الوقوع في حمأة الإثارة الشهوانية، وسار في طريق الإغراء والتضليل.

وميزة أدب الأطفال الذي تتحقق لصاحبه هذه الرؤية أنه أدب إسلامي إنساني، يتلاءم مع الفطرة السوية للطفل، بعيداً عن الصور الشاذة التي يريدها شياطين الإنس، مع التعرف على المرحلة والسن ليختار الملائم المناسب لكل سن من السنين.

وأيا كانت المرحلة فإن السمة الأساسية لهذا الأدب أن يكون نابعاً من التصور الإسلامي، بما يتلاءم وطبيعة الطفل، الذي نتوجه إليه بالكتابة.

وسوف نعود بعد قليل إلى الموضوعات التي يعتني بها أدب الطفل إن شاء الله.

السمات الأساسية لأسلوب أدب الطفل

أما الأمر الثاني الخاص بسمات هذا الأدب فإنه يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الهدف المنشود من الكتابة للأطفال.

والأسلوب يختلف من مرحلة لأخرى، ومن سن لسن أخرى.

ففي المرحلة الأولى ـ مرحلة ما قبل الكتابة ـ لا يمكن تقديم أدب الأطفال إلا عن طريق الكتب المصورة، أو الحكايات والقصص المصورة، وقد بدأ بعض الكتاب تسجيل أشرطة صوتية، أو أشرطة صوت وصورة (فيديو) لهذه المرحلة.

أما في الكتب المصورة فيمكن استخدام بعض الكلمات إلى جانب الصورة[1]، وقد يكتفى بالصور وفق تسلسل محدد يحكي حوادث القصة، بحيث توحي للطفل بالأحداث، والمعاني المقصودة. وهذه الكتب تحتاج إلى الكاتب الذي يصوغ الفكرة، ويكتب الحكاية أو القصة بالأسلوب البسيط، وإلى الرسام الذي يتفهم هذه القصة، ويحولها إلى رسوم معبرة، تحمل ملامح الشخصيات بلباسها وحركاتها، وتعبر عن البيئة بخطوطها وألوانها لتعطي الطفل انطباعاً واضحاً عن العادات والتقاليد، والملامح الشخصية لأبطال القصة أو الحكاية، فضلاً عما تضم من رسوم للحيوانات

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ١١.

والأشياء التي يمكن أن يستفيد الطفل بزيادة خبراته منها. وهذه القصص تدور غالباً حول الأشياء المحسوسة الملموسة التي يمكن أن تتكون لها ذهنية واضحة، حيث لا يمكن إدراك الأمور المعنوية كالكرامة والرذيلة والحرية بطريقة الصور[1].

وقد يستمع الطفل إلى القصة من أمه، ويتابعها مشاهدةً في الكتاب المصور، أو يشاهد القصة كلها مصورة بدون أي حديث عنها، ويترك لخياله متابعة أحداثها من تتابع الصور.

ولقد وصلت الكتب المصورة إلى مرحلة جيدة باستعمال الألوان والصور المجسمة أو النافرة، والثابتة والمتحركة، ومن خامات مختلفة، بعضها من الورق، وبعضها من القماش أو البلاستيك أو غير ذلك[2].

وليس خافياً أن الكتب المصورة بحاجة إلى فهم ووعي وتفقه من الأديب المسلم والرسام المسلم لكي يختار من الرسوم ما يحقق غايته، دون الوقوع بأي محرم، وينبغي دراسة هذا الأمر من قبل المختصين على ضوء الأهداف الواضحة لأدب الطفل، وفي حدود الشريعة الإسلامية لتتضح الأبعاد والمجالات التي يمكن أن يرتادها الأديب في الكتب المصورة.

وهذا العمل يحتاج إلى دراسة مستفيضة في مسائل التربية وعلم النفس، وفن الخط، والرسم والتلوين لإخراج مثل هذه الكتب الناجحة، مع العلم بأنه من الضروري أن تحاول الصور نقل الأفكار والانفعالات المختلفة.

والأطفال يستجيبون لتفسير هذه الانفعالات، وتنشط خيالاتهم لفهم الحركة المصورة[3]. والكتب المصورة تربط الطفل بالواقع، وتفتح بصيرته على ما حوله، وتزيد من اعتماده على نفسه، وتنمي دقة ملاحظته، وتقرب

---

(١) أدب الأطفال، مبادئه ومقوماته/ ٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٨٨.

المعاني إلى ذهنه، وتزيد من خبرته، وتعلمه بعض المفاهيم مثل تصغير الأحجام الكبيرة وتكبير الأحجام الصغيرة، وتنشط ذاكرته[1].

كذلك الأشرطة المسجلة، أي الحكايات المسموعة، والقصص المروية بأصوات مختلفة كالأم، أو الأب، أو المعلم، أو المعلمة، أو الجدة أو الشيخ.. إلخ.

ولا يكفي أن تكون الحكايات المسموعة بالسرد وحده، بل تحتاج إلى نوع من التلوين الصوتي الذي يساعد على تصوير الموقف، وتمثُّل الأحداث، ونقل المشاعر والانفعالات، ورسم الأجواء المحيطة بالحوادث. ومن المستحسن أن تكون هناك أصوات مساعدة معبرة، إما عن طريق تسجيل أصوات حقيقية (الريح، أصوات الحيوانات، بعض الأصوات التي تصدر عن القيام بحركات معينة)، أو عن طريق تقليد هذه الأصوات[2].

وإذا صاحبت هذه الأصوات صور تمثيلية معبرة، أو صور واقعية (بالفيديو) يكون تأثيرها أكبر، مع الاحتراز من استخدام الرائي أو الفيديو كجهاز دائم للتسلية، ومشاهدة شتى الأفلام والمسلسلات التي تدفع بها الشركات التجارية[3].

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم/ ١٣، ١٤.

(٢) انظر سلسلة البراعم السمعية: قصص القرآن للبراعم/ ١ ـ ٣٠: محمد موفق سليمة، إصدار مكتبة الحرمين السمعية ـ الرياض.

(٣) انظر: بصمات على ولدي/ ٢٦: حيث أشار تقرير نشرته مجلة اليونسكو إلى أن ما تقدمه وسائل الإعلام ولا سيما الرائي يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال، إضافة للآثار السلبية الأخرى، كتدني الذوق العام، وإثارة الغرائز، والترويج للأخلاق الفاسدة: كالكذب والخداع والمراوغة، مع إظهارها بأنها ذكاء ومهارة وخفة، وصرف الأطفال عن الحقائق الواقعية، مع الأخطار الصحية، حيث قرن بعض العلماء (التلفزيون بالسيجارة والخمر والسيارة)، مع سوء استعمال اللغة.. إلخ. وانظر: أدب الأطفال دراسة وتطبيق عبد الفتاح أبو معال/ ١٢.

وأما في المرحلة التي يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة، وما بعدها فإن استخدام الكتابة أمر ضروري؛ لأنها تؤدي إلى تنمية مهاراته وزيادة خبراته وتوسع معارفه، وإثراء مفرداته وألفاظه.

والطفل «يقرأ لينطلق إلى عالم جديد من السعادة والمتعة» مع الفائدة التي يحصل عليها من هذه القراءة، فضلاً عن أن القراءة ترضي حب الاستطلاع عند الطفل، وقابلية النمو الفكري والعاطفي[1] وتنشِّط خياله، وتدفعه للتأمل والتفكير والبحث.

فالقراءة غذاء فكري ونفسي واجتماعي وعاطفي، وهي حاجة نمائية أكيدة تساعد الطفل على النمو العقلي والمعرفي، وتتيح له التعرف على البيئة والاتصال بعالم الكبار، وتساعده على النمو الاجتماعي، وتكون الذوق الفني، والتعرف على كثير من البيئات الأخرى[2].

وفي القراءة تتعمق مفاهيم العقيدة، وتنغرس الفضائل، وتزداد معرفته بدينه، وتصوره لمجتمعه.

ولا بد من مراعاة المراحل المختلفة حينما يكتبُ الأديبُ للطفل، ويتعرف إلى المفردات والألفاظ المألوفة لديه، التي تمكنه من فهم ما يقرأ، أو تدفعه للتفكير والتأمل فيما يقرأ.

وكذلك لا بد من مراعاة الفروق بين الجنسين من ناحية الأسلوب والموضوع[3].

وأما اللغة التي يُجمع عليها كُتَّاب أدب الأطفال، فهي اللغة السهلة الواضحة التي يفهمها الأطفال، التي تساعدهم على معرفة الفكرة المطروحة، أو متابعة حوادث القصة، أو تصور ما يجري في الحكاية،

---

(١) أدب الأطفال ومكتباتهم: سعيد أحمد حسن/ ١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تثقيف الطفل ـ فلسفته وأهدافه/ ١٣٩.

ولذلك ينبغي للكاتب أن يعرف مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، ومراحل نموهم الفكري واللغوي والاجتماعي وأن يعرف البيئة التي يتوجه لها بالكتابة.

وكذلك لا بد من البعد عن التعقيد في الأسلوب، والغرابة في اختيار الألفاظ، وعدم استعمال الأسلوب المجازي الذي لا يستطيع الطفل إدراكه.

ومهم جداً ـ ونحن نسعى لتربية الأطفال تربية إسلامية ـ استخدام الفصحى في الحديث والكتابة، مع اختيار الأسلوب البسيط المفهوم، والتدرج في استعمال اللغة، والحرص على الضبط، وتجنب الأخطاء النحوية والإملائية، أو إدخال الألفاظ الأجنبية بغير ضرورة قصوى، وعدم استعمال الكلمات العاميّة، أو طرق التعبير التي تخالف أساليب العربية وطرقها الصحيحة، مع الحرص على السهولة والوضوح ينبغي استخدام التدرج في زيادة خبرات الطفل وثروته اللغوية بإدخال ألفاظ ومفردات جديدة، شريطة أن تساعد العبارة أو التركيب على فهمها وإيضاحها[1]. وكذلك من المهم تدريب الطفل على فهم العبارة القرآنية، وتذوق جمالها ومعرفة أسلوبها، والتمعن بمعناها، والتفكر بما فيها من أحكام أو توجيهات أو أوامر أو عبر[2].

---

(١) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.. وللمرحوم كامل كيلاني رأي في هذا، إذ يرى أن تكون اللغة التي يقدم بها الكاتب لأدب الأطفال أرقى من مستواه قليلاً حتى يستفيد منها بمحاكاتها، ومن ثم تتحسن لغته وأسلوبه، مع حرصه على تجنيب الأطفال الخطأ اللغوي والمعنوي في كتاباته، ويوضح خطته في ذلك بأنه وجد الكتب العربية الأصيلة مثل: الجبل أمام صغارنا، فوضع أمام عينيه، المثل الإسباني في قصة (حي بن يقظان) وهو أن امرأة إسبانية كانت تحمل عجلاً صغيراً كل يوم وتصعد السلم وتهبط به وكبر العجل حتى صار ثوراً وهي على عادتها تحمله كل يوم دون أن تتأثر لأنها لم تحس بالزيادة مع التدرج.

(٢) للأستاذ محمد موفق سليمة محاولات في هذا الشأن تحت عنوان (أنا أقرأ=

وفهم العبارة القرآنية غاية من غايات أدب الطفل، لأن ذلك يؤدي إلى تحقيق عدة أهداف عقدية وتربوية وتعليمية وجمالية، فضلاً عن طبع الفتى بالأصالة، وتذوق الأسلوب العربي الفصيح، بعيداً عن الأساليب التي بدأت تبتعد ـ باسم التحديث والتطوير ـ عن الأساليب العربية، وتسير نحو الاستغراب ليصبح قرآننا أولاً، ثم تراثنا، كتاباً بعيداً عن أذواقنا، ومألوفنا، وتفكيرنا، بل ليصبح كل ذلك نوعاً من التراث الذي يحمل طابع القدم والقداسة دون أن يكون له في حياتنا ذلك التأثير.

وكذلك لا بد من تدريب الطفل على فهم عبارة الحديث الشريف، والتراث العربي الإسلامي الأصيل، من خطب وأقوال وروايات تحمل خصائص هذه اللغة، ومميزات الأسلوب العربي الأصيل. ولا يعني هذا نقل هذه العبارات أو استخدامها بطريقة عشوائية، بل للأديب أن يبتكر الطريقة المناسبة لتحقيق هذا الهدف، مع الاهتمام بطبيعة المرحلة، وخصائص النمو، والسن الذي يوجه له هذا الأدب. وهناك محاولات كثيرة في هذا الشأن لكتاب كثيرين[1].

وأخيراً فإنه من الضروري اختيار طريقة تناسب سن الطفل ومرحلته في إعداد الكتاب وإخراجه، واختيار حجم الحرف المطبوع وشكله، وعدد الأسطر وطريقة الإخراج واستخدام الألوان والصور التوضيحية المرافقة عند الضرورة.

= وأفهم كتاب الله) وهي سلسلة من (٨) حلقات، وكان يأتي بالآية القرآنية أو السورة القصيرة فيشرحها شرحاً بسيطاً مفهوماً للطفل ثم ينظم أبياتاً مقتبسة منها: «فاتحة القرآن جميلة المعاني، نبدؤها بالحمد، لخالقِ الأكوان للرَّاحمِ الرحمٰنِ، والمالك الديّان، إياكَ ربي نعبُد أنت المعين السندُ، اهدِ الغلام المؤمنا، صراط رشدٍ وسنا صراط من قد أنعما، عليه لا من حرما»

(١) هناك محاولات كثيرة في هذا الجانب للأستاذ محمد موفق سليمة وغيره. وصدر له (سبعة يظلهم الله في ظله، وحق المسلم على المسلم، وثلاثيات نبوية) وغيرها.

مع الحرص على ضبط الكلمات بالحركات، وتحديد حجم الكتاب وشكله، وكل ذلك مهم في تقبل الطفل، وانطباعه بما يقع عليه بصره في أي كتاب.

وأختم هذه الفقرة ببعض ما كتبه بعض المهتمين بأدب الأطفال وثقافتهم:

«لهذا عليك قبل البدء بالكتابة أن تكون واثقاً في نفسك فيما إذا كنت تكتب عن الأطفال أو للأطفال.. هل لك قارىء أو قراء مرتقبون؟ ولكن ما لم يكن لك أنت الكاتب قارىء محدد راسخ الهدف الذي توجه قصتك نحوه، فلعل مؤلفك يتذبذب، ويتردد ويسقط بين أسلوبين وتضيع الفرصة. وبناء على هذا، ولأجل الوضوح في أسلوبك وعرضك ومنفعتهما، عليك أن توطد قناعتك قبل أن تبدأ وترى إذا كنت تنوي أن تكتب لفلانة أو لفلان من الأطفال..» إلخ[1]. «أديب الأطفال ينبغي أن يتعرف إلى جمهوره الأطفال، أن يحيط بهذا العالم الغريب ـ مع الرغم أن الإحاطة التامة تظل أمراً عسيراً ـ لأن ما يكتبه، شكلاً ومضموناً، يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه. ولا يكفي أن يتعرف الأديب إلى عدد من الأطفال سواء كانوا أبناءه، أم أبناء جيرانه، أم تلامذته، بل ينبغي أن يدرس جمهور الأطفال دراسة علمية معتمداً على ما توصل إليه رجال التربية وعلماء النفس في هذا المجال.

والأديب المسلم لا يكتفي بذلك، بل يرجع إلى ما كتبه علماء المسلمين عن الفطرة الإنسانية وعن الطفل معتمدين على نصوص ثابتة بالدرجة الأولى، ويستفيدون من دراسات العلماء الغربيين في هذا المجال أيضاً.

---

(١) كيف تكتب للأطفال: جون أيكن، ترجمة كاظم سعد الدين، ط/ ١، ١٩٨٨ م، وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، دار ثقافة الأطفال.

«ولكن هل يعني هذا أن يتصرف الأديب حيال الأطفال مثلما يتصرف رجل التربية أو عالم النفس وهو الأديب الفنان؟!

الجواب على ذلك: لا، لأن موقف أديب الأطفال كموقف الفنان التشكيلي إزاء لوحته الفنية التي يبدعها، إنه يتطلع إليها من بُعدٍ قريب بين حين وحين، ليعود ويحمل الفرشاة ليضيف لمسة أو يضيف إليها لوناً وهكذا.

ولا يكفي أن يعرف أديب الأطفال جمهوره جيداً، بل لا بد من أن يحترمهم، ويلقى في روعهم أنه صديق لهم، وألا يغالي بأستاذيته عليهم، أو أن يقلل من شأنهم أو يستخف بهم وبقدراتهم»[1].

يقول عبد التواب يوسف حول الكتابة للأطفال:

«إن خيال الطفل دنيا واسعة بلا حدود، تعيش فيها صور وشخصيات وأحداث ومرئيات، وإذا نحن لم نخلق[2] له هذه الدنيا، فإنه يبتكرها، ويوجدها، إنها دنيا يستبقيها الطفل مما يسمعه من قصص أو حكايات، ويعيد فيها تنظيم العالم حسب رؤيته، وكما يحلو له أن يصوره..».

«وأطفال اليوم قد ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى كتب الأطفال وضاقوا (ببساط الريح) (وسندريللا) وغيرها، ورفضها كثيرون لأنها بالغة السذاجة، ولا تجدّد خيالهم، وفي الوقت الذي يستطيع هذا الخيال أن يغير الكثير من ذوقهم، وبالتالي يغير من عالمنا ذاته، ولهذا ينادي بعض الباحثين بألا نخاطب الطفل من أعلى خاصة في مجال الخيال، لأنه يسبقنا ويتفوق علينا في هذا الميدان بالذات»[3].

«كتاب الطفل فن أيضاً، إنه نتاج فكري فني يمر بمراحل مختلفة،

---

(١) أدب الأطفال، فلسفته فنونه وسائطه: هادي نعمان الهيتي.

(٢) الأفضل أن نقول (لم نصور أو نصف أو... ونتحاشى استعمال كلمة نخلق).

(٣) عبد التواب يوسف وأدب الطفل/ ٦٢ ـ ٦٣.

تبدأ في التأليف والإعداد، وتمر بالتحرير والرسم والتصميم والإخراج فالنشر فالتوزيع، لتنتهي بالتعزيز الإعلامي، والتشجيع على مختلف مستوياته، والمهم في هذا الأمر كتاب الأطفال الجيد، ولأن الكتاب الجيد هو غذاء العقل والروح مثلما يكون الطعام الجيد هو غذاء الجسم، فإن الكتاب السيىء يصيب العقل والروح بالهزال والفقر مثلما يفعل الطعام الذي يخلو من المقومات الغذائية[1].

(١) الكتاب والأطفال: محمد بسام ملص/ ٦٤.